يـا لَـلْماء ويـا لَـلْدواهـي إذ تـعـجـبـوا مـن كـثرهـا

ومن ذلك قول الشاعر[1]:

لِخُـطّابُ لـيـلى يـا لَبُـرْثُـنَ مِنْكُـمُ أَدَلُّ وأَمْضَى من سُلَيْـكِ الـمَـقـانِبِ

فالشاعر لا يريد أن يستغيث، ولكنه يريد أن يظهر تعجبه من كثرة خطاب ليلى وكثرة خبرتهم بمسالك الافساد حتى لكأنهم في معرفتهم بهذه المسالك يفوقون سليك بن السلكة.

ومن هذا الباب لك أن تقول: يا لَلروضة الغناء، ويا لَلنسيم العليل. ويا لَلقمر الجميل، متعجباً من جمال الروضة وطيب النسيم، وحسن القمر لا مستغيثاً بواحد منها.

وفي مثل هذا تخرج الاستغاثة من الحقيقة إلى المجاز لأن المستغيث لا يريد نداء من ينجده ويساعده ليخلص من شدة يعانيها، وإنما يريد إظهار تعجبه فساق كلامه مساق الاستغاثة ولا استغاثة هناك.

وقد يزيد تعجب الانسان فينادى العجب نفسه مبالغة منه فيقول:
يا لَلعجب لصنيع فلان.

٦ ـ فتحت اللام الداخلة على المستغاث به وكسرت اللام الداخلة على المستغاث له للفرق بينهما وخصت الأولى بالفتح والثانية بالكسر لأن الأولى واقعة في غير موقعها إذ أن المنادى لا يحتاج إلى لام تدخل عليه، فلما وردت اللام في غير موردها كانت أولى بالتغيير، ولهذا أعطيت الفتحة بدل الكسرة التي هي أصل حركتها.

أما لام المستغاث من أجله فهي واقعة في مكانها جارية على الأصل في استعمالها فبقيت لها حركتها الأصلية وهي الكسرة[2].

(١) البغدادي في خزانة الأدب ٦/٣٨٩ وما بعدها.
(٢) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٢١، وشذور الذهب ١٨٤، وابن مالك في تسهيل الفوائد ١٨٤، وابن السرّاج في الموجز ٥٠.